

## استعادة المعنى

□ سنان أنطون

### وقفه

قبل كل شيء، وقبل كل سلام، ومن بعده، استحضارُ لذكرى الذين سقطوا بسبب البربرية الإسرائيلية، واستحضارُ لذكرى الذين وقفوا بشجاعة كي يُسقطوها ثانية.

نادرة هي اللحظات التي تستحق - وبجدارة - أن تكون منعطفًا تاريخيًا يتغير عنده الأفق السياسي، وتزلزل معه مجموعة أفكار مهيمنة أو تتضعض أركانها على الأقل. فالحال أن ذاكرتنا الجمعية العربية مكتظة بالهزائم، وبتاريخ جله من الأكاذيب والخيانات التي طالما غلقت بخطاب العنتريات الرث، ودمغها النظام الرسمي بزيفه المعهود، ثم ساقها وسوقها على أنها انتصارات أو مراحل انتقالية نحو «النصر الحاسم» والحق أن هذا «النصر» استُخدم زريعة لتأجيل أي تقدم حقيقي، ولتبرير وجود دكتاتوريات تفتنت في قمعها واضطهادها للمواطن وتحالفت مع عدوه سرًا وعلانية. ولقد تفاقم الوضع حتى صارت الهوة بين الكلمات وبين معناها القاموسي أكبر من أن تُحتمل، وأضحت هذه الكلمات «الكبيرة» مدعاة للسخرية. ومن هنا تأتي أهمية هذه اللحظة، لحظة الانتصار الذي حققه حزب الله في مواجهته الأخيرة مع إسرائيل. وإن تسميته انتصارًا لا يعني أبدًا التقليل من فداحة الخسائر البشرية والمادية التي تكبدها لبنان وشعبه. لكنه نصرٌ ميدانيٌ بامتياز، كما أنه نصرٌ ساحقٌ على المستوى الرمزي الذي لا يقل أهمية، خصوصًا في عالم اليوم

### لِمَن النصر؟

لقد تساءل البعض، ولأهداف ومصالح مفضوحة، عن الجهة التي سيجري النصر لصالحها لا شك في أن النصر سيسجل، في أحد مستوياته المباشرة، لصالح حزب الله كحركة سياسية لها حساباتها ومصالحها الداخلية ضمن معترك السياسة اللبنانية - وهذا حقٌ مشروع لكن للحرب، التي كانت هذه المعركة فصلًا من فصولها، مستويات أخرى أيضًا لا تقل أهمية ترتبط بمشروع الإمبراطورية الأميركية وسيناريو «الشرق الأوسط الجديد» الذي نُعرف أهدافه ونتائج الكارثية في العراق وفلسطين ولعل الحرب الأخيرة قد تُساعد البعض على التخلُّص

من عمائم الإيديولوجي لكي يعوا خطورة ما يحدث. فمن الحماسة أن يصدق أي عاقل أن الإمبراطورية الأميركية تسعى إلى نشر الديمقراطية. ذلك أن ما ينتج المشروع الأميركي هو أنظمة دكتاتورية تنفذ مشاريع أميركا المحلية وتديم هيمنتها، كما هو الحال في منطقتنا منذ نصف قرن لكن الخطورة اليوم هي أن «القرن الأميركي الجديد» يعيدنا بطيش يحلم فيه المحافظون الجدد بالغاء دول بأكملها، وباستبدالها بكيانات حسب مزاجهم وأحلامهم الإمبراطورية، ويسوق شاسعة تلتهم ما تبقى من موارد المنطقة وتستعيد شعوبها بأرخص ما يمكن.

ولما كانت الحرب أميركية - إسرائيلية ولها أبعادها وتبعاتها التي تتعدى لبنان وجنوبه، فإن التصدي لها من قبل حزب الله يجب أن يُنظر إليه أيضًا من منظار مقاومة مشروع الإمبراطورية الأميركية. فليس من الصعب اليوم أن يدرك المرء أن المعركة ضد هذه الإمبراطورية هي معركة الكوكب بأكملها، الذي تُستنزف موارده البشرية والطبيعية بسبب هيمنتها التي تسير بالعالم نحو الهاوية. وهكذا فإن خنادق المواجهة التي وقف فيها مقاتلو حزب الله هي امتدادات لخنادق شتى في مواجهات شتى في كل مكان من الأرض مع الإمبراطورية ومشاريعها وتظاهراتها الحرابية لذلك وقف الملايين في الخندق الرمزي الشاسع تضامناً مع المقاومة ومع الحق في الدفاع عن النفس (الذي تحتكره إسرائيل وتشوّه معناه منذ تأسيسها) وتضامناً مع المدنيين الذين استهدفتهم إسرائيل ببربرية قروسطية

### الخزي والابتدال

من المخزي حقاً أن يتردد بعض المثقفين العرب العلمانيين في الوقوف في الخندق ذاته، مهما كان الاختلاف عميقاً مع الإطار الإيديولوجي لحزب الله. بل لا يتردد الكثير من هؤلاء العلمانيين في انتقاد التطرف والإقصائية، لكنهم يمارسونها في الوقت ذاته ضد الآخر السياسي!

كما تمّ ابتدال مقولة «المقاومة» في السنين الأخيرة باستسهال إطلاقها على أفعال بل جرائم وحشية تُرتكب ضد من يُفترض



دجوني باربر

نات في سلعا يشارك في نشاطات مع «حملة المقاومة المدنية»

بالسيد حسن نصر الله، كان متميزاً بهدوئه وواقعيته وابتعاده عن الخطابة المبالغ بها. ما كان أحوج الشعوب العربية إلى سياسي وقائد يحترم عقول المواطنين وينفذ ما يعدهم به ويرسم أفقاً واقعياً - وهو ما فعله السيد حسن نصر الله بامتياز.

### المقاومة: تفاؤل الإرادة

بالإمكان، إذاً، عرقلة المشروع الأميركي الإسرائيلي ومقاومته المطلوب هو أن تتوفر الرؤية والمعرفة اللازمة بتضاريس أرض المعركة، بكل ما تعنيه كلمة «تضاريس». وهذا هو أتمن ما يمكن استخلاصه من دروس الحرب الأخيرة لكن ليس من الحكمة الإفراط في التفاؤل: فشراسة الإمبراطورية وشراسة وكيلها المحلي لا حدود لهما، ولا حدود أيضاً للخنادق التي يمكن أن تُحفر أمام مشاريعها. وهنا من يقف وهناك من يعود وبينني من جديد. ولعل ما يجب أن نتسلح به، في النهاية، هو ما تُسبب إلى غرامشي عن «تشاؤم الفكر وتفاؤل الإرادة»

نيويورك

د. سنان أنطون

شاعر وروائي عراقي أستاذ الأدب العربي في جامعة نيويورك.

أن تحرّهم هذه المقاومة والعراق ومذابح خير مثال على ذلك إن إعادة الرأسمال الرمزي لـ «المقاومة»، أو إعادة تأكيد معناها الذي كان حزب الله أساساً متميزاً في ترسيخه منذ سنوات طويلة، تصحيح غاية في الأهمية.

### مميزات حزب الله

لقد نجحت إسرائيل منذ عقود في ترسيخ أسطورة القوة الخارقة و«الجيش الذي لا يقهر» - وهي أسلحة ماضية في ترسانتها الرمزية وفي تفوقها الشامل لا تقل خطورة عن الأسلحة الفتاكة. ولئن تصدعت هذه الأسطورة غير مرة بشجاعة الفلسطينيين وبتحرير الجنوب اللبناني، فإن ذكاء حزب الله وبسالة مقاتليه وصمودهم الخرافي حطمت تلك الأسطورة وأدخلت المؤسسة العسكرية الإسرائيلية في حالة ارتباك وترنح لا سابق لها وفي دوامة ستطول وستطول أبعادها المجتمع الإسرائيلي بأكمله

أما الذاكرة الجمعية العربية التي اعتادت الهزيمة، فقد أدركت أن الانتصار على الآلة العسكرية الإسرائيلية، المدعومة والمجهزة أميركياً، هو أمر يمكن تحقيقه بعدما كان يبدو محالاً كما أن الخطاب الذي استخدمته أثناء المواجهة قيادة حزب الله، ممثلة